



في سبيل العريضة كتاب البخلاء للأستاذ محمود مصطفى

— ❦ —

— ٢ —

ذكرنا في المقال السابق مظهرين من مظاهر عمل الأستاذين الفاضلين العوامري بك والجارم بك في شرحهما لهذا الكتاب ، وهي السناية بالإعراب ، والتطبيق على علوم البلاغة .
واليوم نذكر مظهراً ثالثاً هو الإكثار من ذكر أسماء المراجع اللغوية ، فما نفتأ نرى اسم اللسان والقاموس والصحاح وشرح القاموس والنهاية و... و... من غير حاجة إلى ذكر شيء من ذلك ؛ لأن المادة جرت ألا يخص اسم مرجع بالذكر إلا إذا كان قد انفرد من بين بقية المراجع بإيراد ما نستدل عليه أو نحتج به ، فأما الأمور التي اشتركت فيها كل المراجع أو أغلبها فلا نرى

الجغرافية التي أطلقها علماء الفلك من أبناء الغرب على جبال القمر ، كما أطلقوا غيرها على سائر عوارضه السطحية . وما يلفت الأنظار في هذه التسميات التي تُعدُّ بالثبات ، تلك الطائفة التي اتخذت لها أسماء تعود إلى مشاهير التاريخ الشرق ، بل العربي على الأخص . وهأنذا ذكراً فيما يلي ، مع ما يقابلها بالأجنبية تقرأ عن الكتابين المشار إليهما :

Abulféda.	أبو الفدا
Ulugh Beigh	ألغ بك
Albatagne	البتاني
Thébit	ثابت (بني قرّة)
Alhazen	الحسن (بن الهيثم)

داعياً للنص على المرجع إلا أن يكون ذلك إدلالاً بجمرفة اسم الكتاب أو حيازته . ونكتفي من الدلالة على هذا المظهر في عملهما بذكر مثلين وقما في صفحة واحدة هي ص ٢٩ ، قالا حفظهما الله :

(٨) الكلوح (بضم الكاف) تكثر في عبوس . وقد كلح

بكلح كنع يمنع اه . من اللسان

(٩) قال في القاموس : قطب يقطب قطبا من باب ضرب ، وقطوباً بضم القاف فهو قاطب وقطوب : زوى ما بين عينيه . اه والذي ذكرنا أنه من اللسان تراه في القاموس : قال : « كلح كنع كلوحا وكلاحا بضمهما تكثر في عبوس . والذي ذكرنا أنه من القاموس تراه في كل كتاب غيره . قال في المصباح : « قطب بين عينيه قطبا من باب ضرب جمع ... » ويتصل بأمر المرجع اللغوية مسألة أخرى وهي الوقوف عند عبارات هذه المعجم لا ترحح معه ولا ريم منه مهما أدى ذلك إلى الإيهام أو الاشتباه بالفاظ لا يليق في ذوق الشارحين أن تقع عليها أعين الطلاب والطالبات . وذلك كقولها في حاشية ص ٦٤ : اختلفت من كان من قبل (بكسر ففتح) المرأة كالأب والأخ والعم والحال .

Arzachel	الزرقالي (إبراهيم بن النقاش الطليطلي)
Almamon	المأمون
Nasireddin	نصير الدين (الطوسي)

ولا يخفى أن أغلبية هذه الشخصيات كانت ذات يد طولي في علم الفلك وما يتصل به من العلوم الأخرى . فلا غرو أن يُخدَّ ذكرهم بهذه الطريقة العلمية الصامتة التي قلما يعلم بها أختلافهم اليوم . وهلا تُذكرنا هذه التسميات العربية بما يماثلها في كوكبنا الأرضي ، حيث نجد مواقع عديدة سميت بأسماء مشاهير رجال العرب كجبل طارق وبلد الوليد والقاهرة والمدرسة المستنصرية وغيرها مما يطول سردها ونخرج بنا عما أردناه من هذه الكلمة ..

« بغداد » كوركييس هنا عمود

من قولي أوضح من البدهي ا ولكن اسمع، فهما في ص ٧٣ يملكان على كلمة أصبح بقولها :

(١) أصبح : دخل في الصباح . ١١. وهذه مسألة أخرى أثارها تفسير الشارحين لكلمة أصبح . هل نحن الذين ندخل في الصباح أم الصباح هو الذي يدخل علينا ؟ وهل الصباح هو الواقف ونحن المتحركون ، أم هو المتحرك ونحن الجامدون ١١١ ماذا يسمى القارىء هذه الناية بالصنائير ، وتفسير ما لا يحتاج إلى تفسير، والإعضاء عمافي كتب السابقين من اضطراب ، من رجلين وكل إليهما أمر إصلاح العربية في وزارة المعارف وفي مجمع اللغة ؟! نعود بعد ذلك إلى تتبع سقطات الشرح بحسب ترتيب الكتاب فنقول :

في ص ٢٧ يقول الجاحظ : « ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء : تبين حجة طريفة ، أو تعرف حيلة لطيفة ، أو استفادة نادرة مجيبة » فيضبط الشارح كلمات : تبين وتعرف واستفادة بالكسر ، ولا يتركان هذا الضبط دون تنبيه على سببه حتى كان يصح أن نحمل الخطأ فيه على الطابع الذي نحمله في كثير من الأحيان ما لا جناية له فيه ، حتى لقد أسودت أعضاؤه وتياه من تحمل غلطتنا كما أسود الحجر الأسود من مسح الناس ذنوبهم فيه لم يترك الشارحان هذا الضبط الخاطيء من غير تعليق بل لقد علقا عليه بقولها : (٣) تبين بدل من أشياء . وأنا أربأ بكل قارىء عن أن أوجه إليه بيان الخطأ في ذلك فهو أمر ظاهر لكل من به مسكة من محوية ، ولكني أوجه قولي في ذلك إلى طلاب السنة الثالثة أو الرابعة من المدارس الابتدائية فأقول لها إذا قلنا حضرني ثلاثة رجال محمد وعلي ومحمود ، أليس محمد بدل بمض من لفظ ثلاثة لأنه بعضها ، وإذا ضمناه إلى أخويه كان المجموع هو مدلول «ثلاثة» فكيف يجوز الإبدال من لفظ أشياء في جملة الجاحظ وهي بمثابة كلمة رجال في جملتنا هذه الصغيرة ؟ ألم يقل النحاة إن البدل على نية تكرار العامل ، فإذا أبدلت من كلمة رجال كان تقدير الكلام حضرني ثلاثة محمد وعلي ومحمود (بالإضافة) . فهل يسوغ هذا القول في ذوق أو فهم ؟

هذه غلطة إذا طبعتها أحد المفتشين لمعلم صب عليه غضبه وأعادته من الثانوية إلى الابتدائي وحرمه من الملاوة حين يجي دوره فيها ، بل إذا وقع فيها تلميذ في امتحان الابتدائية وكان نجاحه يتوقف على التسامح فيها لم ترض المفتش غيرته على العربية أن يتسامح فيها ورسب التلميذ من أجل ذلك في الامتحان ، وربما كان رسوبه قضاء

أيدي القارىء لم اضطر الشارحان إلى تقييد كلمة قبل بكسر ففتح؟ ذلك لأنهما أرادا أن ينفيا شبهة قراءتها بضمين فيقع المخطور الذي تتوقاه وزارة المعارف . ولكني أقول إن هذا الضبط الذي قصد به لغت النظر والفكر عن شيء غير لائق كان أدل شيء على ذلك الشيء . فأى داع إلى التزام هذا اللفظ خصوصاً بعد أن تنبه الشارحان إلى ما فيه من خطر على الطلاب والطالبات ؟ لا ترى ذلك الداعي إلا وقوفهما عند ألفاظ المعاجم لا برمان منها ولو قيد أمثلة . وفي ألفاظ : جهة المرأة أو ناحية المرأة أو جانب المرأة ما يفتينا عن قولها بكسر ففتح بين قوسين .

ومن ذلك أيضاً قولها في حاشية ص ١٧٦ : (٦) المذكرة مفاعلة من الذكر (بكسر فسكون) وهما لم يقيدا المفاعلة بأنها من الذكر (بكسر فسكون) إلا احترازاً من مفاعلة أخرى يكون الذكر فيها بضبط آخر غير ما ذكرنا ، وقد كان نفي هذه الشبهة أذعنني إلى الوقوع فيها . فلا حول ولا قوة إلا بالله

ولا تترك هذا المقام حتى تأتي فيه على أكثر ما لاحظنا من الجمود اللغوي لتكون تلك الملاحظات مجتمة ، وبذلك تكون قد عدنا إلى التوبيخ الذي رأينا ألا تتبعه في قدنا هذا من الوقوف عند ألفاظ المعاجم أن ترى الشارحين قد ألفيا عقلهما الحصيف ففرقا بين ما لا فرق فيه وعرفا بما لا تعريف به ، وظنا بعد ذلك أنهما قد أبليا عنراً في الشرح وحققا ودققا إلى أبعاد غايات التحقيق والتدقيق

وهاك فاسم أيها القارىء أولها في ص ١٧٦ أيضاً :

(١١) قمر في كلامه تشدق وتكلم بأقصى قمر فه وقيل تكلم

بأقصى حلقه . لسان

وقبل أن نحتكم إلى الطبيب الشرعي أو الجراح العالم بتشريح الفم أوكد وأشد أنه لا فرق بين العبارتين وأنا أخالف مقدماً كل من يحاول إثبات فرق بين أقصى قمر الفم وأقصى الحلق ١١. كذلك نسمع قولها في ص ١٦١ عند قول الجاحظ فيمن لم يتخذ بناء البيوت للاستقلال وآثر دفع السكني بأجر « وأنه قد أمن من الحرق والنرق وميل أسطوان وانقصاص سهم واسترخاء أساس » فهما يقولان : (٦) السهم جائر السقف أو جائرته . فإذا استفدنا نحن من تذكير لفظ جائر مرة وتأنيته أخرى ، مادام المعنى قد صار أغمض مما كان ؟ فهل يعقل وقوع مثل هذا من عالين فاضلين كالشارحين ؟ إني أترك للقارىء الحكم على هذا العمل فالقول لا يتسع له وأعجب ما في عناية الشارحين باللغة أنهما حاولا أن يشرحا كل شيء حتى شرحا البدهي أو ما هو أوضح من البدهي . وقد تعجب